**الحرية – الخميس 18 مارس 2004**

**"عمر واحد لا يكفي" للشاعر سوف عبيد**

**قصائد الذات في أشجانها ...وأحوال الانسان... والأمة**

بقلم شمس الدين العوني

سوف عبيد من شعراء مرحلة الثمانينات التي تميزت بتنوعها انطلاقا من مختلف الأحداث والتيارات والمتغيرات التي عاشتها تونس ومر بها العالم العربي.

فقد عمل سوف عبيد على نحت منحاه الشعري من خلال تعاطيه الجمالي والفني مع القصيدة وفق رؤية وتصور يعبران عن مختلف الاختلاجات والاعتمالات التي تنهض عليها الذات الشاعرة قولا بأن الكتابة الشعرية سكن الوجود ومن هذا المنزع الهيدغاري انطلق نص سوف عبيد مستلهما عمق وثراء الثقافةوالحضارة العربيتين.

أصدر " الأرض عطشى" (1980) "نوارة الملح" (1984) "امرأة الفسيفساء" (1985) " صديد الروح" (1989) "جناح خارج السرب" (1992) "نبع واحد لصفاف شتى" (1999)وفي الأيام الأخيرة صدر له ديوان شعري سابع عنوانه " عمر واحد لا يكفي" وذلك عندار الاتحاف للنشر.

في هذه المجموعة يسعى سوف لتعميق تجربته الشعرية وقد جاءت القصائد بذات الإيقاع الذي تعودته رغم تعدد منازع صاحبها فهو ينطلق من تفاصيل الحياة وحميمية عناصرها متجولا عبر عوالمها فيبرز بذلك البعد القيمي وما يعتري الكائن الانساني في حياته الشخصية والعامة من مناخات مختلفة يعالجها الشاعر بضرب شعري نلمس فيه رقته وصفاءه تجاه ذاته والآخرين:

.**..أنا سيد الفاتحين**

**وعليك السلام**

**فلا حاجة لي بالسكين**

**كفى ما فعلت بي عيناك**

**شكرا سيدتي**

**سلمت يداك**

**قشريني**...

(ص 17)

وللشاعر في هذا الديوان مثل دواوينه السابقة ميا لتعرية الحالات والأحوال والغوص أكثر في عالم مجنون بروح شعرية فيها الكثير من الحكمة والموعظة على غرار قصائد " القفص الذهبي " و "التاج" و "من كتاب الحيوان" ولعل الشاعرسوف عبيد أراد بذلك ان يعبر عن أهمية الشعر في عصر يذهب باتجاه السقوط والتداعي وانهيار المثلوالقيم:

**لو في العصا خير**

**لظلت في الجنة**

**اما وقد نزلت الى الأرض**

 **فمن البر أن تبقى في الشجرة**

**تظل وتزهر**

**وتعطينا الثمرة**

(ص 51)

قدر الشاعر الإقامة بين الوردة وحد السكينوهذا ما يجعله يعكس آلامه وآلام الناسويسعى للإحاطة بالهموم الإنسانية التي منها هموم امته الجريحة.

وهذا الوعي بالكتابة على انه اجتراح لذيذ تجاه العواطف والمشاعر، قاد الشاعر سوف عبيد الى التعبير شعريا عن امتنائه لهذه الأرض الطيبة مصدر الحضارة والتاريخ والأمجاد:

**تباركت الأرض حسنا و خصبا**

**و فات الأوان و ما أنقذوها**

**هي الأرض منذ القديم جنان**

**وقد عاث فيها فسادا ذووها**

**هي الأرض مزدانة بالفصول**

**بشتى الزهور إليهم تريها**

**و معطاءة عند كل العطور**

**و ما أمسكت ما عليها و**

**هي الأرض مهما قسونا عليها**

**و مهما سلكنا ضلالا وتيها**

**نؤوب إليها و إن طال عمر**

**و في حضنها نحن نلقي الوجوه**

(ص 30)

الشاعر في هذه المجموعة يعبر عن وفائه للأصدقاء و خصوصا لأصدقاء الرحلة الشعرية من الأحياء و الراحلين

و في هذا الجانب نجد قصائد يستذكر فيها صداقته بشاعرين هما المرحوم محمد البقلوطي بعنوان "القرنفلة" و المرحوم المهدي بن نصيب بعنوان " المهدي الذي ينتظر".

في القصيدين حميمية فائقة تجاه عوامل الشعر و حياة الشاعر خلال مسيرته وصولا إلى الموت حيث يقول:

**وهو يسرع في الخطى**

**هيا ننطلق**

**نزاوج الألوان في قوس قزح**

**نفتح الأقفاص**

**نرفرف معها عاليا**

**و بعيدا...**

**كأنه الآن و هنا**

**هو الذي أسبل جفنيه**

**فطار...**

و عن المهدي بن نصيب يقول:

**لأوقد فينا جمرة الروح**

**و أوسع لنا في صدره دفءا و سلاما**

**قبل لحظة أو شبرين**

**كنت في الجلبة**

**حسبته قلبي**

**تحت الرماد خبا...**

(ص 44)

يكتوي الشاعر بنيران الحرقة و الجرح العربي مبثوث في الجهات فيلهج بالحلم العربي عساه يعيد للأرض أهلها و للأهل أحلامهم و الربيع... يقول في قصيدة "جنين"

**جنين و يحيا جمر على جمر**

**مدى الأعوام تشريد و نكبات**

**تواتبيت...توابيت...امـــــــا يكفي**

**و أشلاء...بهم سارت جنازات**

**هم الفلذات نهديهم قرابين**

**هم الأحياء أما نحن أموات**

**كفى ما قدر رأينا في فلسطين**

**لم التاريخ يشجينا و نجمات**

**مع الأحباب...في جنين لقيانا**

**برغم الليــــــــــل نأتــــــــــــــــــــــيهـــا الصبـــــاحـــــــــــــــــــــــات...**

هكذا يقف الشاعر في الصف الأمامي صادحا بالكلمات, تلك الكلمات الموجعة في كشفها لهذا الواقع العربي الغريب.

و ما الشاعر في النهاية إن لم يكن شاهدا على ...أمته و عصره؟

و للشاعر أيضا قدرات فائقة في استلهام المعاني و العبارات من التراث في سباق شعري طريف و حديث يبرز أشجان الذات و أحزانها...و هنا تبرز القصيدة الأخيرة في هذا الديوان معبرة بعمق فني و جمالي عن عراقة الماضي و ثرائه.

فالشاعر سوف عبيد استعرض ملحمة الجازية الضاربة في أعماق تراثنا الشعبي بروح أدبية و لغة مراوحة بين العامي و الفصيح حيث يستعمل عددا من الأمثال و الأغاني المعروفة في تراثنا الشعبي التونسي و العربي يقول:

**قلبي دعــــــــــــــــته عــــــــــــــــــــــين**

**فطــــــــــــــــــــــار نحـــــــــــو أعــــــلى**

**مــــــا أبــــــــــــعد الحبـــــــــــــــــــــيب**

**فـــــــــــــــــــــي القيـــــــــــــــــروان حــــــل**

و هكذا يسافر الشاعر مع هذه الحكاية في ضرب من الترميز و الإيحاء تقصدا للمجد و العراقة و الأصالة في كون مربك تعصف فيه رياح العولمة بكل خصوصية و مميزات.

**يتبع أي أثر يدل عليها**

**يسائل الرائح و الغادي**

**في البوادي ينادي**

**جازية...**

**جازية...**

**جازية...**

ملحمة واحدة لا تكفي... و قد يمضي العمر هكذا دون حلم... و لكن الشاعر يمضي إلى الأقاصي يدل الآخرين على الوردة و الأنثى و المدينة بكثير من بهاء الذات.

"عمر واحد لا يكفي " مجموعة شعرية فيها بوح آخر لشاعر رقيق عرفته منذ منتصف الثمانينات و ألفيته الآن و هنا على عاداته...كائنا آخر لا يحتمل السقوط...يبحث عن إقامة باذخة بين وقتين...وقت للشاعر...و وقت للمجد...إنها الرحلة – مثلما قال – أمتع من الوصول...